

الاستشراق .. دراسة في دوافعه الدينية ونماذج من اوهامه.

Orientalism: A study of its religious motives and examples of its delusions

أ.د. سامي جودة الزيدي *

مركز ذي قار للدراسات التاريخية والآثارية جامعة ذي قار

تاريخ الاستلام: 2022/05/26 تاريخ القبول: 2022/06/21 تاريخ النشر: 2022/09/06

ملخص:

تناولنا في المقال البحثي الاستشراق .. دراسة في دوافعه الدينية ونماذج من اوهامه ، اهم الدوافع الدينية التي دفعت الغربيين الى التوجه صوب الشرق ، وبذل الجهود الجبارة من اجل الاطلاع على حضارة وتراث وثقافة الشرقيين والتي مرت بمراحل عديدة تطورت معها حركة الاستشراق من حركة هدفها الاول التعلم والاطلاع على الفكر والتراث الاسلامي والتزود من معينه ، والتي اقتصرت على الرهبان والقساوسة وبعض ملوك اوربا ، ولكنها سرعان ما تطورت الى حركة تسعى الى الوقف بوجه الاسلام وحضارته وشل قدرته على التقدم والتطور ، اذ ان الاسلام يمتلك القدرات الهائلة على التمدد على الغرب الاوربي ، وان قدرته وقوته تكمن في الاسلام والايمان به ، لذا اتجهت الاهداف الاستشراقية الى هدم هذه القوة والنيل منها واضعافها بشتى الوسائل ، تناولنا اهم الاهداف والدوافع الدينية للاستشراق ، وكذلك اهم المراحل التي مر بها ، ثم تحدثنا عن اهم المناهج التي اتبعها في النيل من الاسلام والتراث ، ومن ثم اخذنا نماذج مهمة للتضليل والاهام التي اطلقها المستشرقون بحق الاسلام ، وأجبنا على سؤال مهم والذي تلخص بكيفية التعامل مع الاستشراق ، هل نعده عدائي بالجملة ام ان فيه من الجهود المهمة التي تحتاج الى وعي لفهمها .

كلمات مفتاحية: المشرق الاسلامي، الاستشراق، المستشرق

Abstract: In the research article we dealt with Orientalism .. a study of its religious motives and models of its delusions, the most important religious motives that prompted Westerners to move towards the East, and to make great efforts in order to learn about the civilization, heritage and culture of the Orientals, which passed through many stages with which the Orientalist movement developed from its goal movement The first is to learn and learn about Islamic thought and heritage, and to acquire a certain supply of it, which was limited to monks, priests and some kings of Europe, but it quickly developed into a movement that seeks to stand in the face of Islam and its civilization and paralyze its ability to progress and develop, as Islam possesses enormous capabilities to extend over the European West. And that his power and strength lies in Islam and belief in it, so the Orientalist goals tended to destroy this power, undermine it and weaken it by various means.

We dealt with the most important goals and religious motives of Orientalism, as well as the most important stages it went through, then we talked about the most important methods that he followed in undermining Islam and heritage, and then we took important models of misinformation and illusions that orientalists launched against Islam, and we answered an important question that summarized how to deal with Orientalism Do we consider it hostile in general, or are there important efforts that need awareness to understand?

Keywords: the Islamic East, orientalism, orientalism

1. مقدمة: لا يخفى ان الاستشراق حركة كبيرة قامت بجهود اوربية على مستوى الفردي والجماعي متجهة صوب الشرق بشكل عام والعربي بشكل خاص ، لغايات ودوافع متعددة منها الديني والاستعماري والتجاري والثقافي ، الا ان العامل المهم منها هو الدافع الديني الذي كان باكورة الدوافع التي أيقظت همم الغربيين الى العمل وشد الرحال صوب الشرق للاطلاع على علومه ومعارفه وحياته ، وعوامل قوته وضعفه ، ومنافذ الدخول اليه ، اذ نجد الدافع الديني اس الدوافع ، كون التركيز على العقيدة وهدمها يعد السبيل السالك للوصول الى الاهداف الاخرى سيما اذا كان العامل الديني مصدر توحد لتلك الشعوب ، فتفكيكه وهدمه يسمح لاختراقه والسيطرة على اتباعه ، ومن ثم تنفيذ المخططات الاخرى المراد تحقيقها .

الاستشراق :

هو كل ما يقوم به المستشرقون من دراسة حول الشرق من كل النواحي ، من دراسة تاريخ الشرق واممه وعلومه وعاداته ومعتقداته واساطيره (1) .

فهو اتجاه اتخذ من الفكر اداة لدراسة الاسلام والمسلمين ، والتعرف على تاريخهم وحضارتهم ولغتهم بهدف التعمق في معرفة الاسلام لتسهيل السيطرة عليه وتحجيم قوته ، وتنصير اتباعه . وقد عرفه مالك بن نبي الاستشراق والمستشرقين بقوله : الاستشراق : هي الدراسات التي يقوم بها الغربيين عن الشرق ، والمستشرقون : هم الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الاسلامي وعن الحضارة الاسلامية (2) .

وقد اكد ادوارد سعيد ان للاستشراق ثلاث دلالات :

اولها : جامعية اكااديمية فكل من يقوم بتدريس الشرق والكتابة عنه او بحثه فهو مستشرق وعلمه هو الاستشراق ، سواء كان مختصا بعلم الانسان او بعلم الاجتماع ام مؤرخا ام فقيه لغة .

وثانيها : اكثر عمومية من الاولى من حيث هي اسلوب من الفكر القائم على التمييز وجودي (انتولوجي) ومعرفي (ابستمولوجي) بين الشرق والغرب .

ثالثها : هي ان الاستشراق اسلوب غربي يهدف الى السيطرة على الشرق وبسط السيادة عليه (3) .

كانت الاندلس المجال الرحب والخصب الذي التقى فيه الاختلاط الاوربي العربي اذ في الفترة التي كانت فيها اوربا تعيش مرحلة الكسل المعرفي والجمود الفكري ، كانت الاندلس تعج بالثقافة والعلوم والمعارف اذ قدم اليها الكثير من العلماء العرب واصبح للثقافة والمعارف دور بارز في حياة الاندلس ، مما دعا الأوربيين الى شد الرحال اتجاهها بغية الورود من معينها العلمي والمعرفي .

وهذا نجده في قول المستشرق الانجليزي (صارفي) في كتابه فلسفة التاريخ (ان مدارس العرب في اسبانيا كانت هي مصادر العلوم وكان الطلاب الاوربيون يهرعون اليها من كل قطر يتلقون فيها العلوم الطبيعية والرياضية وما وراء الطبيعة واصبح جنوبي ايطاليا منذ احتله العرب واسطة لنقل الثقافة الى اوربا ، ومن رواد تلك المناهل والراهب (جربت jrbert) فانه بعد ان تتقف في علوم اللاهوت في (اورياق) مسقط راسه جاب عقاب البرانس والوادي الكبير حتى ورد اشبيلية ، فدرس فيها وفي قرطبة الرياضيات والفلك ، ثم ارتد الى قومه ينشر فيهم ما تعلمه من الشرق وثقافة العرب فرموه بالسحر والكفر (4) . وكذلك اهتم عدد اخر من الرهبان بتعلم اللغة العربية ودراسات العلوم الاسلامية ، ومنهم الراهب (ادلار اوفبات) وكذلك الراهب الشهير (بطرس المبجل) رئيس دير كلوني ، وكان ما يهم هؤلاء الطعن بالاسلام وتشويهه محاسنه وتحريف حقائقه ، بغية اقناع اتباعهم الذين يخضعون لزعامتهم الدينية ، ان الاسلام هو العدو الذي يتعين عليهم محاربتة (5) .

لم يقف الامر عند الرهبان والقساوسة في النهل من علوم الشرق انما كان لبعض لملوك اوربا وجهة الى الشرق للتزود من ذلك المعين الثقافي سيما الاندلس التي كانت آنذاك تضج بمختلف العلوم والمعارف ، فقد قصدها العلماء من جميع انحاء الشرق لما تمتعت به من حرية الفكر والتشجيع على الانتاج المعرفي ، فقد تخرج (شانجة) ملك ليون واستوريا على يد علماء قرطبة ، كما اولع علماء ايطاليا بالعربية وعدوها لغة الادب العالمي ، فقد اوصى الراهب (روجر بيكون) الانجليزي بتعلم اللغة العربية ، وقال : (ان الله يؤتي الحكمة من يشاء ، ولم يشأ ان يؤتيها اللاتين ، وانما آتاها اليهود والاغريق والعرب) (6) . ولعل الامر اكثر غورا من وصف بدايته بعهد التأثير المتبادل مع الاندلس ، اذ يعده احد الباحثين بان بداياته الاولى تعود الى عصر الصليبيين (7) .

لقد شكل العامل الديني العامل الالهم في ظهور الاستشراق وتوسع دائرته ، اذ ان المستشرقين الذين درسوا وتعلموا في المدارس الشرقية ، عرفوا جيدا قوة المسلمين وتماسك عقائدهم ، واخذوا يشعرون بان الاسلام بمقدوره التمدد على مساحات اكبر من حدوده الحالية نتيجة لتأثر الشباب الاوربي بثقافة الاسلام وعلومه . فضلا عن ان اغلب المساحات التي كانت خاضعة للنصارى قديما صارت بيد المسلمين ، وصار الاسلام يتطلع الى الولوج في اوربا ، مما سوف يهدد مكانة الكنيسة ، ويجعل موقفها صعبا امام اتباعها ، فمن نقطة الضعف هذه عملت الكنيسة على البحث عن وسائل لإيقاف الزحف الاسلامي الثقافي والمعرفي باتجاه اوربا ، وتحويل الموقف من الهجوم الى الدفاع ، واشغال المسلمين بتبرير صحت عقائدهم عن نقد عقائد الغرب

وكسلهم المعرفي . لذلك عملت الكنيسة بإرسال حملات التبشير الى الشرق ، ومن ثم الاهتمام بدراسة تاريخ وحضارة الشرق ولغتهم بما في ذلك القرآن والحديث والعقائد والفقهاء .

وتأكيدا لذلك ما قاله احد الباحثين: بدأ الاستعمار في تشجيع الدراسات الاسلامية الاستشراقية نظرا للحاجة الملحة الى فهم اوضاع المسلمين حتى يتسنى لهم العمل على اضعاف روح المقاومة لديهم وبث الفرقة والوهن في صفوفهم وقد اتخذ لذلك وسائل عديدة اهمها : التشكيك بتراث الاسلام وحضارته وقيمه وعاداته ، والتبشير بحضارة الغرب المادية والانفتاح عليها (٨) .

كان العامل الديني الاساس وراء حركة الاستشراق حتى انه كان مصاحب له باستمرار كونه يلتقي مع العوامل الاخرى بنفس الاهداف التي تسعى جميعها في اضعاف الاسلام ، والسيطرة على المسلمين . ولقد اعترف "يوهان فيوك - في صراحة - بالدافع الديني التبشيري للاستشراق، فقال: إن الاستشراق لم يكن عملا علميا محضا؛ بل إن المراد منه هو الرد على الإسلام، والتبشير بالنصرانية بين المسلمين، وذلك بتراجم عربية للإنجيل (٩) .

لا يخفى ان وصول الرهبان الى الاندلس وتعلم اللغة العربية والاطلاع على المعارف الاسلامية ، جعلهم وجها لوجه امام قوة الاسلام الفكرية وقدرته على الديمومة والاستمرار ، مما اقلقهم كثيرا ، وجعلهم يشعرون ان بمقدور الاسلام ان ينتشر وتتسع جغرافية تواجده ، مما يجعلهم امام خطر حقيقي ، لو ان الاسلام وصل الى اوربا ، وبدأ الاوروبيون يعتقدون به ، لذا دقت نواقيس الخطر في اذهانهم وجعلتهم يسارعون الخطى في ايجاد الوسائل والطرق لإيقاف الاسلام في حدود تواجده ، او تقهقره الى موطنه الاول ، ومحاولة اضعاف المسلمين . لذا اتخذ الدافع الديني للاستشراق ثلاث اتجاهات مهمة تعمل بشكل متوازي لغرض هدم الاسلام وتشويه صورته :

1- استهداف الاسلام من خلال تنظيم حملات تبشيرية ، وحملات استشراقية بغية الاطلاع على التراث الاسلامي ، ومعرفة اهم الثغرات التي تساعد على الدخول اليه وتمزيقه (١٠) فقد اكد هذا الرأي السباعي قائلا : (واتجهوا الى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات واخلاق وثرورات ليتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفوها والى مواطن الضعف فيغتموها) (١١) .

2- تشويه صورة الاسلام في نظر الاوروبيين ، لغرض حماية المسيحيين من خطر الاسلام بتشويش حقيقته قال (كايتاني) : (انما نريد ان يفهم سر المصيبة الاسلامية التي انتزعت من المسيحية ملايين الاتباع في شتى

انحاء الارض)⁽¹²⁾ (انه ليس من الغريب ان يعمل المستشرقين على الحفاظ على دين الاوربيين النصراني ولا يكون ذلك الا من خلال تشويه صورة الاسلام والمسلمين)⁽¹³⁾ .

3- تشويه صورة الاسلام في نظر المسلمين انفسهم من خلال زعزت الثقة به لدى المسلمين ، وبث الشكوك وتحريف الحقائق عن الاسلام والقرآن ، بغية احداث صدع في ايمانهم بعقائدهم ، فالأوربيون يدركون جيدا ان الاسلام وعقيدته هو اساس وحدتهم ، وهو من منحهم القوة وجعل منهم امبراطورية مترامية الاطراف ، اخذت اذرعها تهدد اوربا ، فوجود الاسلام والايمان به هذه الصلابة يجعل الشرق قوة دائمة تسعى الى النهضة والتقدم ، وكلما استمرت بهذا الدين الإيماني كلما اصبحت من الصعب ايقافها والسيطرة على حركتها الصاعدة . لذا بدأ التشكيك يأخذ ابعاد مختلفة سواء على مستوى القرآن والعقائد واللغة بشكل خاص ، او على مستوى الحضارة بشكلها العام ، اذا انطلقوا اولا بالتشكيك في اصل نزول القرآن وانه من انتاج محمد (ص) ، ثم اخذوا يشككون بكل ما دون ذلك ، ومن ثم حاولوا اضعاف الاسلام من خلال التشكيك بأصالة الحضارة وانها انما هي انتاج من تأثيرات حضارة اليونان عبر ما قام به العرب من ترجمة لكتبهم وما نقلوه من فلسفتهم . ولم يقفوا عند هذا الحد انما اخذوا يبنون الفرقة بين المسلمين من خلال اظهار النزعات العنصرية بين العناصر المكونة للحضارة الاسلامية ، والتأكيد على المواقف الفردية في اضطهاد الاقليات غير العربية بهدف شق الصف وتمزيق الوحدة ، ليتم التخلص من اسلام القوة وتحويله الى اسلام الضعف والوهن ولا تبقى سوى المسيحية من تقود العالم . فقد جاء في كتاب (الملف السري لشمال افريقيا) لمؤلفه (بيار فونتين) : (هؤلاء المبشرون يرون القوة الكامنة في الاسلام هي التهديد القوي لبلادهم)⁽¹⁴⁾ .

ومما لا جدال فيه ان الاسلام شكل عقدة مهمة لدى الاوربيين يجب حلها وابعاد خطرهما المحقق دائما بهم ، كون الاسلام كان من اخطر الديانات التي ممكن ان تتمدد على المساحة الاوربية وتهدد مصالحها على المستوى الاستعماري ، وتهدد المسيحية على مستوى الاتباع . قال (الكاردينال لانجيرى) الفرنسي : (بينما كان الاسلام على وشك ان ينهار في اوربا مع عرش السلاطين من آل عثمان ، كان لا يزال ناشطا في تقدمه وفتوحه على ابواب مملكتنا الافريقية)⁽¹⁵⁾ . فهم يعدون افريقيا مملكة لهم وان وجود الاسلام فيها يهدد مصالحهم لذا عملوا بجد ونشاط من اجل اضعاف الاسلام في شمال افريقيا ما استطاعوا اليه من سبيل . فأقاموا المدارس التبشيرية ، ونشروا لغتهم في البلاد وحرصوا على ان تكون هي اللغة الام ، واخذوا يتدخلون في نشر ثقافتهم وتسيير تلك البلدان على ضوء منهجهم المرسوم للقضاء على الهوية الاسلامية لتلك البلاد وتحويلها الى بلاد اوربية ، فأخذوا يتدخلون في التعليم ومناهجه ويصيغون سياسات تعليمية من خلال ذلك .

ولعل ثمة امر مهم وهو ان التبشير عمل بسلاح خفي لإضعاف المسلمين من خلال المسلمين ذاتهم ، فقد عملوا على فتح الرسائل التعليمية للطلبة العرب في الدراسة في اوروبا للحصول على شهادات عليا وعلى ضوء المناهج الأوروبية ، مما جعل الكثير من الشباب يتأثر بتلك المناهج ويتبناها واخذ ينشرها في الاوساط الثقافية الاسلامية ، وهذا ما يؤكد قول (الكاردينال لانجيري) : (فالمبشرون مجمعون على ان جميع الوسائل -مهما كانت يجب ان تستعمل في سبيل التبشير)(¹⁶)

اهم الوسائل التي استخدمت في تشويه الاسلام :

1- تأليف الكتب في الموضوعات ومنها القران والحديث والفقہ والتاريخ الاسلامي واصدار المجلات والصحف ودوائر المعارف .

2- ارساليات التبشير التي تقوم بأعمال خيرية في مجالات انسانية مختلفة في الظاهر ، الا انها في الباطن تعمل على التبشير بالمسيحية .

3- انشاء جمعيات ومدارس ومؤسسات من اجل العمل الخيري والاحتكاك بالشباب في العالم الاسلامي .

4- لقاء المحاضرات في الجامعات والهيئات العلمية والمحافل الدولية، ونشر المقالات في الصحف والمجلات. وعقد المؤتمرات للترويج لأفكارهم الجديد بخصوص الاسلام .

5- التركيز على الدعوات الهدامة والافكار الخاطئة ودعم الفرق الضالة والدفاع عنها . والوقوف عند الحوادث التاريخية التي تمثل انتكاسات او ازمات مر بها العالم الاسلامي ، وكأنهم يبحثون ان السقطات والطعون ليوسفوها لصالحهم (¹⁷).

منهج المستشرقين في تشويه الاسلام :

1- التحامل على الاسلام بشكل واضح ، فهم يعطون اراءهم حول الديانات الاخرى بموضوعية وعدم التجريح كالبوذية والهندوسية وغيرها ، لكنهم يجانبون الحقيقة عند دراستهم للإسلام ، واغلب دراساتهم تمس بالمقدسات الاسلامية ولا تحترمها (¹⁸).

2- التشكيك بما هو قطعي ومتواتر ، وهذا ما فعله المستشرق (ولش) عندما حاول ان يشكك في القرآن من خلال ما كتبه في مادة (قرآن) في دائرة المعارف الاسلامية الطبعة الجديدة ، فقد قال ان لعبد الله بن مسعود مصحفا ليس فيه المعوذتين ، معتمدا في ذلك على رواية ضعيفة وردت في كتاب (المصاحف) لابي داود ، اراد من خلالها التشكيك بعدم تواتر القرآن وقطعية وروده (¹⁹). ثم التشكيك في القرآن جملة بقول المستشرق (بوهل)

الذي كتب في دائرة المعارف الاسلامية الطبعة الاولى مادة (قرآن) قائلاً : (ان الوحي الذي كان الرسول يقرأه ليس القرآن الذي نقرأه الان ، فقد أعيدت صياغة الوحي بحيث اخذ الشكل الحالي (20) .

3- تأويل الروايات الاحداث التاريخية بما يخدم اهداف الاستشراق ، ونسبتها الى المؤرخين العرب ، حتى ان القارئ يكاد ان يصدق ما نسب لهم ، ومن الامثلة على ذلك ما قام به جولد تسيهر عندما قال (... ويقول وكيع عن زياد بن عبد الله البكائي ، انه مع شرفه في الحديث كان كذوباً) (21) مع ان ابن حجر في التقريب قال : (لم يثبت ان وكيعا كذبه) (22) . ولعل نسبة الكذب الى البكائي كان مقصودا من قبل جولد تسيهر ، كون الرجل عرف بعلو همته في الحديث ومكانته لدى ، فإذا كان قد سقط بشهادة وكيع احد اعمدة الجرح والتعديل فهذا يعني ان لا ثقة بالحديث عند المسلمين (23) .

4- منهج الاثر والتأثر ، اذ حاول المستشرقين ان يجعلوا الاسلام متأثر بالديانات اليهودية والنصرانية وقد ذهب جواد علي الى القول : ان المستشرقون في غالبيتهم يجهدون انفسهم لرد كل ما هو اسلامي وعربي لأصل يهودي (24) . وقد انساق وراء هذه الفكرة عدد من المستشرقين زاعمين ان النبي (ص) اتصل باليهود في مكة وانه كان يسأل خادمه زيدا ، وهو مملوك للمسيحيين ، عن الديانتين اليهودية والمسيحية ليأخذ منهما ، وقالوا: كان محمد في المدينة تلميذا لليهود وهم الذين كونوه ثم بدأ جبريل يمدده ببعض الاساطير التي عرفها اليهود والمسيحيون (25) ، ثم انهم يزعمون انه تلقى معارفه عن طريق ورقة بن نوفل الذي كان قد تنصر في مكة وترجم التوراة والانجيل الى العربية ، وقد زوج محمد ابنة عمه خديجة ، وكان مصدر تعليم محمد بعد ان عاش معه خمسة عشر عام قبل البعثة ، وهي كافية لان يأخذ منها نابغة العرب محمد بن عبد الله (26) .

5- المنهج الانتقائي في استعمال المصادر فقد نجدهم يركزون على بعض المصادر دون غيرها ولا يتحققون من صحة الروايات ولا يأخذون بنظر الاعتبار الجهود التي بذلها المسلمون في تضعيف بعض الروايات وتوثيق اخرى ، فهم عند دراستهم لموضوع ما يركزون على ايجاد السقطات والهفات ليوظفوها لصالح اهدافهم . فقد وجدوا ضالتهم في كتاب المصاحف لابي داود فيما ساقوه في مسألة جمع القرآن ، مع ان الكاتب كان يجمع كل ما يصل اليه من روايات جمع القرآن دون تدقيق وتمحيص . وكذلك اعتمدوا كتاب الاتقان للسيوطي لنفس الغرض ، مع ان الكتاب جمع الروايات الضعيفة في باب واحد ليلج منها الى الروايات الصحيحة (27) .

6- اصف الى ذلك فقد استخدموا مناهج اخرى لا يسع المقال لذكرها ، كالمنهج الاسقاطي بأسقاط الحاضر المعاش على الاحداث التاريخية ، والمنهج الافتراضي الذي من خلاله يفترضون امرا ثم يجعلونه حقيقة . وكذلك

التركيز على مواضيع ثانوية واعطائها ابعادا ذات تأثير كبير في التاريخ الاسلامي ، كموضوع التصوف ، والخارج وغيرها .

نماذج من اوهامهم :

كثرة اوهام وشكوك المستشرقين في التراث الاسلامي حتى لم يتركوا قضية من قضايا الدين الا وكانت لهم فيها فرية وشك ، ففي مسألة الوحي زعم اغلب المستشرقين ان ما يعتري النبي (ص) هي نوبات صرع ، فقد ذكر نورمان دانيل : 0 ان نوبات الوحي وتصبب العرق وصلصلة الجرس فسروه بالصرع لو ان النبي (ص) كان يصيبه مسّ من الشيطان ، وان نبي العرب كان قد درب حمامة ، او ان معلما خبيثا له دريها على التقاط الحب من أذنه ، فكان يدعي ان هذه الحمامة هي الروح القدس توحى اليه بقرآنه (28) . وقد رد على هذه الفرية المستشرق المحايد السير وليم موير بقوله : (وتصوير ما كان يبدو ان محمد في ساعات الوحي على هذا النحو الخاطيء من الناحية العملية افحش الخطأ. فنوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه اي ذكر لما مرّ به اثناءها ، بل هو ينسى هذه الفترة من حياته بعد افاقته من نوبته نسيانا تاما، ولا يذكر شيئا مما صنع وحل به خلالها، لان حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام العطل ، هذه اعراض الصرع كما يثبتها العلم، ولم يكن ما يصيب النبي العربي اثناء الوحي، بل كانت تتنبه حواسه المدركة في تلك الاثناء تنبها لا عهد للناس به، يذكر بدقة -غاية الدقة- ما يتلقاه بعد ذلك على اصحابه ، ثم نزول الوحي لم يكن يقترن حتما بالغيبوبة الحسية مع تنبه الادراك الروحي غاية التنبيه، بل كثيرا ما يحدث والنبي في تمام اليقظة العادية) (29).

وما قالوه في النبي محمد يكاد يكون اغلبه افتراءات وتضليل ، فقد (ان محمد مصلح ديني وضع نظاما جديدا دينيا اسنه الاسلام) كما وصفوا النبي (ص) بأبشع الوصف ورسوموا له صورة مشوهة في عيون الغربيين فقد قال عنه (ديدرو) انه (قاتل رجال وخاطف نساء واكبر عدو للعقل الحر) وعن نبوته قالوا : (ان محمد يدعي النبوة وهو ليس نبي، بل معلوماته استقاها من مصادر معروفة منها صاحباها صهيب الرومي وسلمان الفارسي وزوجه مارية القبطية) كذلك عن ولادته قالوا : (ان محمد لا يعرف بالضبط متى ولد واكثر ما جاءنا عن حياته الاولى معلومات اسطورية) (30).

حاول المستشرقون من خلال الطعن بالنبي وبمولده وبنسبه ، وجعله شخصية غير واقعية ، او شخصية غير مهمة مغمورة في تاريخ الجزيرة العربية ، كذلك كانوا يدسون السم بالعسل من خلال الطعون التي يوجهونها الى الوحي والى القرآن ، واتهاماتهم على ان القرآن اخذ عن التوراة وتم تعديله فيما بعد ، وطعنهم في سور القرآن ، وفي سيرة النبي (ص) وحاول جهدهم ان يجعلوا القرآن من موحيات ورقة بن نوفل ، او تعليم صهيب

وسلمان ، او تأثير الديانات اليهودية والمسيحية ، بل انهم ابتدعوا فرية ان محمد (ص) تلقى القرآن من بحيرا الراهب وهذا ما قال به المستشرق (سفاري) واتبعه على النسق نفسه (بودلي) وكذلك قولهم انه اخذه من المقابلات التي يعقدها في سوق عكاظ والتي ادت الى نضوج عقله فأنتجت دين محمد (ص) (31).

وكان المستشرق (فويلز) قد تخيل الرسول محمدا(ص) رجلا دفعته طموحاته ووساوسه في سن الكهولة الى تأسيس دين ليعد في زمرة القديسين ، فألف مجموعة من عقائد خرافية، وآداب سطحية، وقام بنشرها في قومه، فأتبعها رجال منهم. ويعتقد فولتير ان محمدا رجل سياسة ذو تفكير عميق، ومؤسس لدين عقلاني، دون الاشارة الى نبوته ورسالته السماوية ، بل ان المستشرق ريكولدو قد نفي كليا ان يكون محمدا نبيا فقال : (يا محمد انا لا اصدق انك تسلمت هذه الآراء من الله ، لأنك عجيب في رسالتك ، لأنك لا تتفق مع اي كتاب مقدس آخر)(32). وقال (جورج سيل) الذي ترجم القرآن في اوائل القرن الثامن عشر الميلادي : ان محمدا مخائل اخترع الاسلام اختراع ، واتهمه بالوثنية (33). ولعل الامثلة اكثر من ان يستوعبها هذا المقال الا اننا نكتفي بهذا القدر من النماذج للقارئ ان يراجع ما اهلنا اليه من المصادر .

بقي سؤال مهم هل يمكن ان نتعامل مع الاستشراق بسلة واحدة ؟ وهل الحكم بالمطلق حكما عادلا ؟

والجواب على ذلك ان اطلاق العدائية ضد الاستشراق بالجملة يجانب العدالة في الحكم ، اذ ان الجهود التي بذلها بعض المستشرقين جهود جبارة لا يمكن التغاضي عنها ، فقد كان بعض المستشرقين ديدنهم علمي واتبعوا منهج موضوعيا ونزيها في التعامل مع التراث الاسلامي ، ولا يمكن بأي حال من الاحوال بخس الجهود الاستشراقية في حفظ الكثير من المخطوطات وتحقيقها ونشرها وتبويبها ، كما كانت لدراساتهم في التراث الاسلامي اثرها في استفزاز العقل الاسلامي للتفكير والرد عليهم . ولا يمكن الجزم ان كل ما كتبه المستشرقون ينطلق من خط عدائي مع المسلمين ، اذ لا بد من القول ان الطبيعة التي تحكم العقل الغربي مختلفة عن تلك الطبيعة التي حكمت العقل الشرقي ، وان النظرة الى الاشياء ليست ذاتها عند الغربي ، ولعلها هي التي انتجت مناهجهم التي على ضوءها درسوا الاسلام من كل جوانبه ، وهذا لا يبرر للمستشرقين الذين كانت لهم اهداف عدائية واضحة تحدثنا عنها بإسهاب . ويرى احد الباحثين ا : انه لا يمكن للمنظومة الفكرية العربية ان تنظر الى الاستشراق نظرة احادية ، ولا يمكن ان ترفضه جملة وتفصيلا ، فلقد تعامل بعض المستشرقين مع التراث الاسلامي تعامل علميا نزيها وشريفا وموضوعيا ، بل ابعد من كل هذا ، لقد تعلقوا بهذا التراث واحيوه بصدق معرفي الى درجة العشق والذوبان وتبنوه ثقافة وفكر وعقيدة اذ ان عدد كبير منهم اعتنق الاسلام ... هذا الرفض لم يعد ممكنا الان ، واصبح تطور الاستشراق يتطلب وعيا متطورا ، فلم يعد الاستشراق كله معاديا

للشرق ولم يعد كل مستشرق عدوا بامتياز او باحث من اجل الاساءة اليه والى انسانه وثقافته⁽³⁴⁾. كل هذا لا يعف ان نتعامل مع الاستشراق بحذر وان ندرس اهدافه ونواياه واغراضه لكي يكون بمقدورنا مواجهة السلبي منه والاستفادة من الايجابي فيه ، اذ لا زالت المشاريع الاستعمارية قائمة وتحاول النيل من الشرق بثتى الوسائل والطرق ، مما يحتم علينا كشرقين ان تكون برامجنا في المواجهة بقدر حجم المشاريع الاستعمارية التي نعيش التحدي معها . ونختم بقول المستشرق برنارد لويس : (لا تزال اثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ، ومستترة وراء الحواشي المرصوفة في الابحاث العلمية⁽³⁵⁾).

ختاماً نقول:

ان الدوافع الدينية للاستشراق كانت اهم الدوافع سيما في بداية حركته ، وهي التي ساعدت بشكل رئيس على فهم الشرق وتراثه ومجتمعاته ، والتي مهدت الطريق الى الاهداف الاخرى لان تكون حاضرة في الشرق الاسلامي ، سيما الاستعمار الذي يعد على رأس تلك الاهداف ، والذي لا زال الى يومنا هذا يعمل بثقل وجهه كبير من اجل بسط السيطرة على الشرق واخضاعه الى الهيمنة الاستعمارية بطرق ووسائل مختلفة تتنوع بحسب الظروف والتطورات ، لذا لا يمكن اغفال دور التأسيس الاول الذي قامت به الكنيسة في التمهيد لاجتياح الشرق والسيطرة عليه . وان الوسائل التي استخدمت كانت وسائل دينية تمثلت بعمليات التشويه لهذا التراث والنيل من مقدساته والتعامل على انسانه والاستهزاء بثقافته .

التوثيق:

- 1 قميحة ، التبشير والاستشراق على الشباب المسلم ، ص 15 .
- 2 مالك بن نبي ، انتاج المستشرقين ، ص 5 .
- 3 سعيد ، الاستشراق ، ص 38 .
- 4 الزيات ، تاريخ الادب العربي ، ص 379 .
- 5 زناطي ، زيارة جديدة للاستشراق ، ص 31-32 .
- 6 المصدر نفسه ، ص 379 .
- 7 عبد الحميد ، المستشرقون والاسلام ، ص 4 .
- 8 الزيايدي ، الاستشراق اهدافه ووسائله ، ص 100 .
- 9 جبري ، د. عبد المتعال ، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ، ص 16-17 .
- 10 ينظر : بشتاوي ، الامة الاندلسية الشهيدة ، ص 6 .
- 11 السباعي ، الاستشراق والمستشرقون ، ص 19 .
- 12 زقروق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص 30 .
- 13 زقروق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص 30 .
- 14 عميرة ، الاسلام والمسلمون بين احقاد التبشير وضلال الاستشراق ، ص 15 .

- 15 المصدر نفسه ، ص13
- 16 المصدر نفسه ، ص13
- 17 بو زيد ، الدراسات الاستشراقية وخطرها ، ص27.
- 18 زقزوق ، الاسلام في تصورات الغرب ، ص14.
- 19 عزوزي ، مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم ، ص11 .
- 20 عوض ، دائرة المعارف الاسلامية الاستشراقية ، اضاليل وابطال ، ص7.
- 21 الديب ، المستشرقون والتراث، ص28 .
- 22 ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج1، ص321 .
- 23 الديب ، المستشرقون والتراث، ص28 .
- 24 علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج1، ص9-11 .
- 25 نقرة ، التهامي ، القرآن والمستشرقون ، ج1 ، ص32 . الحكيم ، د. حسن ، المستشرقون ودراساتهم للسيرة ، ص155 .
- 26 نقرة ، التهامي ، القرآن والمستشرقون ، ج1 ، ص37 . الحكيم ، د. حسن ، المستشرقون ودراساتهم للسيرة ، ص155 .
- 27 عزوزي ، مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن ، ص17 .
- 28 السامرائي ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، ص62
- 29 الصغير ، ظاهرة الوحي والمستشرقون ، ص102.
- 30 العاني ، الاستشراق اهدافه وآثاره ، ص220-221 .
- 31 الجزائري ، السيرة النبوية - واوهام المستشرقين ، ص59 .
- 32 الحكيم ، المستشرقون ودراساتهم للسيرة ، ص173 .
- 33 الجزائري ، السيرة النبوية واوهام المستشرقين، ص59 .
- 34 منصور ، الاستشراق والوعي السالب ، ص129 .
- 35 زقزوق، د. محمد الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص73 .

المصادر والمراجع :

- 1- بشتاوي، عادل سعيد، الامة الاندلسية الشهيدة، المؤسسات العربية للدراسات والنشر(بيروت، 2000م).
- 2- بو زيد، د. لخضر، الدراسات الاستشراقية وخطرها، مجلة دراسات استشراقية، العدد الخامس عشر (2018م).
- 3- الجزائري ، د. عبد المتعال ، السيرة النبوية - واوهام المستشرقين ، مكتبة وهبة (القاهرة، د.ت).
- 4- جزيري ، د. عبد المتعال ، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ، مكتبة وهبة (القاهرة 1416هـ / 1995م) .
- 5- عبد الحميد ، د . عرفان ، المستشرقون والاسلام ، مطبعة الرشاد (بغداد ، 1969م) .
- 6- ابن حجر ، ابو الفضل شهاب الدين احمد بن علي (ت852هـ) تقريب التهذيب ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت 1415هـ/1995م)،
- 7- الحكيم ، د. حسن ، المستشرقون ودراساتهم للسيرة بحث في كتاب(المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الاسلامي ، دار الكفيل(العراق ، 1435هـ /2014م) .
- 8- الديب ، عبد العظيم ، المستشرقون والتراث ، دار الوفاء (مصر، 1992م) ط3.
- 9- السامرائي ، د. قاسم ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، مطابع الفرزدق التجارية (الرياض، 1403هـ /1983م).
- 10- سعيد ، ادوارد ، الاستشراق ، ترجمة كمال الديب ، مؤسسة الابحاث العربية (بيروت ، 1981م) .
- 11- زناتي ، انور محمد ، زيارة جديدة للاستشراق ، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة، 2007م) .
- 12- زقزوق ، محمود حمدي ، الاسلام في تصورات الغرب ، مكتبة وهبة (مصر، 1987م).
- 13- زقزوق ، محمود حمدي ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، دار المعارف (القاهرة، د.ت) .
- 14- الزيات ، احمد حسن ، تاريخ الادب العربي ، دار المعرفة (بيروت ، 2007م) . مصرية (القاهرة، 2006م)
- 15- الزيايدي ، محمد فتح الله ، الاستشراق اهدافه ووسائله ، دار قتيبة (1426هـ/1998م) .

- 16- قميحة ، جابر ، التبشير والاستشراق على الشباب المسلم ، دعوة الحق رابطة العالم الاسلامي ، العدد 116 (مكة المكرمة 1991 م).
- 17- علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الاسلام (السيرة النبوية) مطبعة الزعيم ، (بغداد ، 1961م).
- 18- عوض ، د. ابراهيم ، دائرة المعارف الاسلامية الاستشراقية ، اضاليل واباطيل (مصر، 1989م) ص7.
- 19- عميرة ، عبد الرحمن ، الاسلام والمسلمون بين احقاد التبشير وضلال الاستشراق ، دار الجيل (بيروت، 1999م).
- 20- العاني ، د. عبد القاهر، الاستشراق اهدافه وآثاره ، بحث في كتاب (المستشرقون وموقفهم من التراث الاسلامي) دار الكفيل (العراق، 1435هـ / 2014م).
- 21- الصغير ، د. محمد حسين، ظاهرة الوحي والمستشرقون ، بحث في كتاب (المستشرقون وموقفهم من التراث الاسلامي) دار الكفيل (العراق، 1435هـ / 2014م).
- 22- مالك بن نبي ، انتاج المستشرقين ، دار الرشاد (بيروت ، 1969م) .
- 23- منصور ، خيرى ، الاستشراق والوعي السالب ، مكتبة مدبولي (مصر، 2005م) ط2
- 24- نقرة ، التهامي ، القرآن والمستشرقون ، بحث في (مناهج المستشرقين).